

الخيال العلمي في الولايات المتحدة

مقابلة مع جان - دانييل بريك Daniel - Jean

Brèque

ت: عدنان محمود

محمد

جان - دانييل بريك مترجم (ندين له بترجمة رقعة الشر لدان سايمونز) وناقد وكاتب؛ إذ نُشرت قصص عدة في بريطانيا والولايات المتحدة)، وهو أبرز الاختصاصيين في مجال الخيال العلمي الأنكلوساكسوني. وهو معاون رئيس تحرير مجلة Galaxies.

^aمصطلح الخيال العلمي من أصل أمريكي، فهل يعني هذا سيطرة الخيال العلمي الأمريكي على الخيال العلمي؟

^a جان - دانييل بريك: نعم، إلى حدٍّ كبير. فقد نشأ الخيال العلمي الأمريكي خلال عقد الثلاثينات في بوتقة pulps؛ حيث كان من الضروري الإنتاج وحتى التخصص من أجل البقاء. ولقد عرف عصره الذهبي في الأربعينيات؛ حيث أرسى جون دبليو كامبيل John W. Campbell، وهو رئيس تحرير Astounding، دعائم الخيال العلمي الحديث، وأطلق كتاباً من أمثال أسيموف Asimov وهينلاين Heinlein وفان فوغت Van Vogt. وغداة الحرب العالمية الثانية، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية إحدى القوتين المسيطرتين على الكوكب، ومن الناحية الثقافية، صارت القوة الوحيدة. وصار كل ما يأتي من الولايات

المتحدة، يثير الفضول من رواية سوداء أو جاز أو روك، وصار من الضروري أحياناً التعريف نسبةً إلى إنتاجات اليانكي.

وعندما انتقل الخيال العلمي الأمريكي إلى فرنسا في بداية الخمسينيات عرف القراء، في بضعة أشهر، مجموعة من أفضل ما أنتج خلال السنوات العشر السابقة، وحتى قبل: مثل راي برادبوري Ray Bradbury وفريدريك براون Fredric Brown وهـ. بي. لافكرافت H. P. Lovecraft ونيودور ستورجون Theodore Sturgeon وإيه. إي. فان فوغت، إلخ. وباستثناء أشخاص من أمثال رينيه بارجافيل René Barjavel وب. إر. بروس B. R. Bruss، فإن الكتاب الفرنسيين الذين شُغفوا بهذا الجنس في ذلك العهد، لم يكونوا إلا مبتدئين، وكان أمامهم، ولزمن طويل، شوطٌ طويلٌ يجب أن يقطعوه.

^a ومع ذلك، فإن الكاتبيين اللذين يعدّهما الأمريكيون مؤسّسين للخيال العلمي - جول فيرن Jules Verne وأتش جي ولز H.G. Wells - هما أوروبيان. كما يمكننا أن نذكر بأن الاستباق الفرنسي كان نشيطاً في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ألم يخصّص روسني الكبير، - المؤلف الشهير جداً ولرواية حرب النار La guerre du feu - نصف أعماله للموضوعات الكلاسيكية وللخيال العلمي؟ إذن لماذا لم ينبت ذلك الطعم في فرنسا؟ ولماذا تشكّل هذا الجنس بوصفه جنساً أمريكياً؟

^{a a} كان هناك إنتاج لروايات علمية في فترة ما بين الحربين في فرنسا، ولكنّ هذا لم يستمر. وفي مقدمته لمختارات صعودات إلى الأفق Escales sur l'horizon، يقدّم سيرج ليمن Serge Lehman الفرضية التي بموجبها فقد العلم كلّ جاذبية بالنسبة للمثقفين الفرنسيين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، نظراً لأن وسائل التقدّم تحوّلت إلى أدوات ذبح. وأنا أرى أنه على حق. وإذا كان العصر الجميل La Belle Epoque فترة من التفاؤل تقارب فيه الفن والتكنولوجيا، وبصورة خاصة تحت رعاية مدرسة نانسي، بما سُمّي الفن الجديد L'Art nouveau، فإن السنوات المجنونة التي تلت الحرب العالمية الأولى، هي

السنوات التي انضوى فيها الفن والأدب تحت لواء اليأس أو العبثية. إلا في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت معاناة الأمريكيين من الحرب أقل.

^aكيف تشكل الخيال العلمي في الولايات المتحدة؟

^a في الفترة الأولى، من أواسط العشرينات وحتى بداية الخمسينيات، كان الخيال العلمي أدباً يُنشر، بصورة رئيسة في المجلات، ويقرؤه شبانٌ يبدون مجانيين في نظر معاصريهم - قراءة السيرة الذاتية لأسيموف أو لفريدريك بول Fredrik Pohl لتكوين فكرة عن العصر. وبما أن بعض المجلات كانت تحوي زاوية: «بريد القراء» كانت تظهر عليها عناوين القراء المذكورين، فقد تبع ذلك لقاءات وإنشاء لنوادٍ، ثم تشكل ما يُسمى الفاندوم le fandom. ويتميز الخيال العلمي عن الأجناس الشعبية الأخرى - البوليسية والوسترن والرواية العاطفية، إلخ - بوجود جمهور وفيّ، ومتعصب أحياناً يقوم مقام المؤلّفين الجدد.

وعندما اهتمّت الطباعة الأمريكية التقليدية بالخيال العلمي، فذلك لأن المتعصبين له أخذوا زمام المبادرة ونشروا نصوص كتابهم المفضلين في كتب.

واليوم تبدو المجلات المتبقية وكأنها ديناصورات، حتى وإن كان مستقبل هذا الجنس يُبنى على صفحاتها. في الواقع، إن دور النشر الأمريكية، وهي المهتمة أكثر بالربح، تميل إلى إهمال الكتب المعنية بالخيال العلمي الأكثر أصالة، لصالح نتاجات متأتية من أفلام ومسلسلات تلفزيونية ناجحة.

^aغالباً ما أخذ على الخيال العلمي الأمريكي تمييزه للموضوعات على حساب الكتابة، فهل كان هذا المأخذ مسوّغاً خلال الثلاثينيات؟ وهل ما يزال له معنى اليوم؟

^a كان لهذا المأخذ معنى في الثلاثينيات، ولكنه كان يطبّق على مجموع الـ Pulps الأمريكي، حيث امتزجت الأجناس كلها. بيد أن وصول جون دبليو كامبل إلى رئاسة الأستاذينغ مثل قفزة نوعية غير عادية بالنسبة لهذا الجنس. وحتى وإن كان أسيموف وهابنلاين وفان فوغت الذين قدّمهم كامبل ليسوا كتاباً كباراً، فعلى الأقل كانت لديهم ملكة الكتابة بأسلوب واضح وفعال، متخلص من

تأثيرات البوليس. السأم، هذا النوع من الأساليب كان لزمان طويل الوحيد المقبول في ذلك المجال. وفيما بعد، أثرى وصول أجيال عديدة متلاحقة جنس الخيال العلمي.

^aبرأيك من هم الكتاب المميزون في الولايات المتحدة خلال سنوات الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات؟

^a يُسمّى عقد الثلاثينيات opera - space - حركات ذات أبعاد كونية، وسط مسلسل -، وسيّد هذا الجنس هو إي إي «دوك» سميث E. E. «Doc» Smith، وهو للأسف لم يعد مقروءاً نهائياً اليوم. كما يمكن أن نذكر من ذلك العصر إدموند هاملتون Edmond Hamilton وجاك ويليامسون Jack Williamson، وهو كاتب ما يزال يُقرأ حتى اليوم، بعد أن عرف كيف يتطور مع هذا الجنس.

ووصف عقد الأربعينيات بـ«العصر الذهبي» للخيال العلمي الأمريكي، والكاتب الأهم بلا منازع في تلك الفترة هو روبرت هاينلاين الذي اخترع معظم أدوات أدب الخيال العلمي الكلاسيكية، ولكن يجب ألا ننسى إسحق أسيموف، وإيه وإي فان فوغت وثيرودور ستورجون وكليفورد د. سيماك Clifford D. Simak.

أما عقد الخمسينيات فقد شهد ظهور الهجاء والتصنع، وظهرت مجلات مثل غالاكسي Galaxy والماغازين أوف فانتازي آند ساينس فيكشن Magasine of Fiction - Fantasy & Science، والمؤلف الرمز لهذا العقد هو برأيي روبرت شيكلي Robert Sheckley، كما يجب أن نذكر أيضاً بول أندرسن Poul Anderson وفيليب جوزيه فارمر Philip José Farmer وآخرين.

^aحدثنا قليلاً عن هذا الـ «العصر الذهبي» للخيال العلمي الأمريكي!

^a إنه نتاج رجل واحد تقريباً هو جون دبليو كامبل الذي، ما إن تسلم إدارة الـ astounding، حتى عمل على تأهيل كتاب جدد، وذلك بإعطائهم توجيهات بأن يكتبوا بصورة خاصة قصصاً تنتمي إلى الأدب العام المعني بالمستقبل؛ بمعنى آخر، يجب أن تُقرأ قصصهم كما لو أنها كُتبت بأقلام كتاب من المستقبل لقراء من المستقبل.

وقبل كامبل وقع أدب الخيال العلمي بصورة عامة في فحّين اثنين: الأول هو فحّ التعليميّة؛ حيث كُتبت قصصٌ عمد فيها الكاتب إلى عرض أفكارٍ علميّة على حساب القص وعلم النفس والكتابة؛ - والثاني هو فحّ التكرار - حيث نُقلت قصص الوسترن إلى الفضاء. ولكن بدفع من كامبل نشأ شكلٌ أدبي جديد.

^aو«الموجة الجديدة The New Wave»؟ هل كان لهذه «الحركة» علاقة مع «الثقافة المضادة culture - la contre» كما أكد ذلك نورمان سبينراد Norman Spinrad حديثاً؟

^{a a}لنقلُ إنه كانت هناك جسور. فقد كان كتاب «الموجة الجديدة» يعدّون أنفسهم أصحاب الثقافة المضادة، ولكن تجاهلَ كتاب الأدب العام والموسيقيون والناشرون معظم أعمالهم. وما أزال أذكر مقابلةً أجريت مع أعضاء الـ بينك فلويد Pink Floyd ونُشرت في الغالاكسي، وقد جهد صاحب المقابلة أن يكشف أن هؤلاء يجهلون كل شيء عن ديك Dick وسبينراد، ولكنهم كانوا يعشقون أسيموف وكليكرك Clarke!

وبالمقابل كان في فرنسا انسجام حقيقي بين الخيال العلمي والرسوم المتحرّكة، وذلك بفضل فنّانين من أمثال موبايوس Moebius ودرويه Druillet وبفضل «موصّلين» مثل جان - بيير ديونيه Jean - Pierre Dionnet.

^aلطالما عدّ فيليب ك. ديك في فرنسا الكاتبَ الرمز للخيال العلمي الأمريكي الحديث، ونجاحه عندنا لا يُنكر، فهل كان لديه النجاح نفسه في الولايات المتحدة؟

^{a a}كان نجاح ديك في الولايات المتحدة متأخراً، وللأسف، بعد وفاته. وديك هو من الكتاب الأمريكيين الملعونين الذين اعترفت بهم فرنسا قبل مواطنتها. يمكننا أن نذكر في مجال الخيال العلمي والأدب العجائبي بو Poe ولافكرافت Lovecraft، وفي مجال الرواية البوليسية نذكر تشستر هايمز Chester Himes، والأمثلة الأخرى كثيرة. ولقد تمّت في فرنسا عملية ترويج ذكية فيما يخصّ ديك، قادها أناسٌ من أمثال آلان دوريميو Alain Dorémieux، وجيرار

كلان Gérard Klein وجاك سادول Jacques Sadoul وجاك غوامار Jacques Goimard وروبير لوي Robert Louit.

... باختصار، جميع الكتاب المهمين في عقدَي الستينيات والسبعينيات. وأعتقد أن الأفكار الديكية كانت رائجة عند الجمهور الفرنسي في أحداث ١٩٦٨.

^a عندما تظهر حركة، أو نزعة جديدة في الخيال العلمي العالمي، نفكر بالـ «سايبربونك Cyberpunk»، بصورة خاصة بالأكثر إعلامية بينهم، وأقصد وليم جيبسون William Gibson (وهو كندي - إنكليزي) - دائماً ما تولد هذه الحركات في الولايات المتحدة... فهل نحن دائماً أمام هيمنة أمريكية؟

^{a a} أعتقد أن الأمر يتعلق دائماً بمشكلة التواصل، فالعالم بأسره يقرأ اللغة الإنكليزية، ولكن اليابانيين لا يقرؤون الفرنسية دائماً، والإسبان لا يفهمون الألمانية دائماً، إلخ. وما إن ترجم جان - كلود دونياش Claude Dunyach - قصصه القصيرة إلى اللغة الإنكليزية - وبخاصة فك شيفرة الشبكة Déchiffrer la trame - ، حتى تلقى عروضاً من العالم بأسره. وعندما ظهرت موجة جديدة في الخيال العلمي الأمريكي - حتى لو كان ذلك في البداية مجرد مواقف مُضحكة سريعة مثل الـ Steampunk الذي اصطنعه ك. دبليو جيتير K.W. Jeter -، فإن العالم بأسره عَلم به؛ في حين أنه إذا قامت حركة، حتى لو كانت هامة، في بلد غير أنكلوساكسوني، فمن النادر أن تتخطى حدوده.

^a هل حملت حلقة هايبريون Hyperion لدان سيمونز Dan Simmons تجديداً في الخيال العلمي الأمريكي المعاصر؟

^{a a} لأقل إنه شارك في تجديد الخيال العلمي الأنكلوساكسوني. ففي الوقت نفسه الذي كان فيه سيمونز يكتب هايبريون، بدأ الكاتب الإنكليزي إيان م. بانكس Iain M. Banks في حلقاته حول الثقافة، وبدأ كولن غرينلاند Colin Greenland الكلام عنه... وباختصار، إنها العودة الكبرى للـ سبيس - أوبرا، وهو جنس فرعي عُدَّ محرّكاً للموقد، ولكنه ظهر كحامل غنى تخييلي بفضل

هؤلاء الكتاب الجدد. ولا بدّ من القول إن ما يُسمّى «الخيال العلمي على الشاشة» قد تمّ بلوغه على يد الكاتب البريطاني بيتر ف. هاملتون Peter F. Hamilton بمسلسله المعنّون فجر الليل - ستة أجزاء تحوي سبعمئة صفحة في طبعته الفرنسية.

^a من هم برأيك أهم الكتاب الأمريكيين اليوم؟

^{a a} إن دان سيمونز هو بلا منازع الكاتب الذي كان أكثر تأثيراً في الخيال العلمي في عقد التسعينات. ويبدو أنه ابتعد عن هذا الجنس في السنوات الأخيرة، ولكن يُعلن عنه أنه سيُنتج نسخة جديدة من الإلياذة والأوديسة أنتظرهما بفارغ الصبر. كما إنني سأذكر مايك رسنيك Mike Resnick الذي تجاوز موقعه ككاتب لروايات المغامرات بفضل ولعه بأفريقيا - رواية كيرينياغا Kirinyaga هي من الروايات المفصّلية في ذلك العقد. وكذلك سأذكر الثنائي الهام في الهجاء السوفيتي: جيمس مورو James Morrow وتيري بيسون Terry Bisson.

ولكن مجال الأنكلوساكسونية لا يقتصر على الولايات المتحدة، وسوف أذكر الكاتب البريطاني بول ج. ماك أولي Paul J. McAuley الذي جمع بين النسيج العلمي والموهبة الأدبية، والأوسترالي غريغ إيغان Greg Egan، هذا الميتافيزيقي في عصر الذكاء الصناعي، لا بدّ من قراءته.

^a ومن هم الكتاب الواعدون؟

^{a a} لقد اكتشفتُ للتو قصص كاثلين آن غونان Kathleen Ann Goonan التي أدهشتني؛ وبما أنها نشرت روايتين أو ثلاثاً، فلن أتأخر عن قراءتها. أما عن تيد شيانغ Ted Chiang فلا أعرف إلا عدة قصص، وكلها متميزة، ويُقال إنه سينشر مجموعة منها حتى قبل أن يكتب رواية - وهذا مؤشّر واضح.

^a هل الخيال العلمي بخير في بدايات القرن الحادي والعشرين؟

a a نعم ولا. فعلى المستوى التجاري البحث، يبقى الخيال العلمي إحدى العلامات الأكثر بيعاً... ولكن ما يُباع في المكتبة هو الروايات المكتوبة مسلسلةً لتعجب محبي الستار تريك Star Trek والستار وورز Star Wars والأمثلة الأخرى التي تُسمّى من باب التهكم «السايفاي Fi - Sci». وللأسف نرى كتاباً موهوبين مثل غريغ بير Greg Bear وك. دبليو جيتز، وسأكتفي بذكر كاتبين أحبهما، قد انساقا للكتابة في هذا النوع ليكسبا قوت يومهما. ففي الولايات المتحدة يعاني الكاتب الشاب في نشر أولى رواياته.

وبالمقابل، على المستوى الأدبي البحث، نجد نصوصاً رائعة، بشرط أن نعرف كيف نكتشفها، ونحن نقرأ باستمتاع متزايد كتاباً يمتلكون أدواتهم تماماً - من المحاربين القدماء نذكر روبرت سيلفربرج Robert Silverberg إلى الذئاب الشباب من أمثال تيد شيانغ الذي سلف ذكره، مروراً بكاتب مثل لوسيسوس شيبارد Lucius Shepard - والاكتشافات مستمرة.

a ومع ذلك، مقابل هذا الخيال العلمي الأمريكي، يبدو أن الخيال العلمي الفرنسي يُبلى بلاءً حسناً منذ أواسط التسعينيات. وكذلك فإن خيالاً علمياً جيداً يظهر في أوربا (إيطاليا مع فاليريو إيفانجيليستي Valerio Evangelisti، وألمانيا مع أندرياس إيشباخ Andreas Eschbach، وإسبانيا مع خوان ميغيل أغويليرا Juan Miguel Aguilera، إلخ) فهل تعتقد أن هذه الظاهرة ستدوم؟

a ربما نعم، على اعتبار أننا شهدنا خلال السنوات الأخيرة ظاهرةً جديدةً حتى الآن: فقد تواصل الكتاب والناشرون والقراء الأوروبيون بعضهم ببعضهم الآخر بمناسبة المهرجانات مثل مهرجان يوتوبيا، ويبدو تماماً أن خيالاً علمياً أوروبياً هو في طريقه إلى التشكل. فحتى الآن، في فرنسا كما في إسبانيا، وفي إيطاليا كما في ألمانيا، لم يكن يُعرف - ما خلا بعض الاستثناءات - إلا الإنتاج الوطني والإنتاج الأنكلوساكسوني؛ واليوم، ليس الكتاب الذين أتيت على ذكرهم فحسب هم من نُشرت أعمالهم في فرنسا؛ بل كتاب فرنسيون - رولان سي فاغنر Rolland C. Wagner وأيردال Ayridhal وجان - مارك لينى Jean - Marc Ligny، إلخ - بدؤوا بنشر نتاجاتهم عند جيراننا الأوروبيين.

في الواقع، لدي انطباع بأن الساي فاي - الخيال العلمي الاستهلاكي، المتواضع - قد أصبح مجالاً مختلفاً عن الخيال العلمي المتميز، ذلك الذي اكتسب مزايا لغة تتجاوز الحدود - وبين دان سايمونز وآيردال أشياء مشتركة أكثر مما بين دان سايمونز والأجير الذي كلف بتحرير الجزء الخامس والعشرين بعد الثلاثمئة من «بيجامات في الفضاء». في كل مكان تقريباً، الجمهور العريض - الذي كان غارقاً في جهل الخيال العلمي بسبب مثقفين ذوي صدقية متضائلة - يهتم بالخيال العلمي ويقبل عليه بلا أحكام مسبقة ولكن بعقل نقدي منفتح. هناك كتاب أوربيون ينطلقون بلا عقد للنشر لدى ناشرين أنكلوساكسونيين - جان - كلود دونياش وآيردال في المجلة البريطانية Interzone... ، أندرياس إيشباخ في المجلة الأمريكية The magazine of fantasy & Science Fiction - وهذا ما تمّ الترحيب به بوصفه حدثاً من قبل النقاد الأنكلوساكسونيين الذين اكتشفوا نمطاً آخر للكتابة ولعيش جنسهم المختار.

وما هو الخيال العلمي إن لم يكن التوق إلى ما هو آخر؟

■ أجرى المقابلة: ستيفان نيكو Stéphane Nicot